

الاسلام فوبيا في الفكر السياسي الغربي

(أ.م.و شتيوي عبر مطر (*) (الباحث علي رمضان صالح (**))

الملخص

شاع في الاوساط السياسية الدولية تداول مصطلح الاسلام فوبيا، وبخاصة عقب الاحداث السياسية التي تخللها عدد من هجمات الجماعات الاسلامية على أهداف مدنية في انحاء مختلفة من العالم، فتناولت هذه الدراسة (الاسلام فوبيا في الفكر السياسي الغربي)، ما كان لبعض التيارات السياسية الاسلامية من أثر كبير في تعميق فكرة الاسلام فوبيا، فضلاً عن مساهمات الغرب نفسه في تنميط صورة الاسلام بالاستناد إلى خلفية الموروث الكنسي والاستشراقي.

تناول البحث مفهوم الاسلام فوبيا وجذوره الفكرية، وما لهذه المفهوم من ارتباط بجذور الاسلام السياسي كحركة سياسية، اذ اعتمد على ذلك المنظرون في تحديد الارتباط الوثيق بين كلتا الفكرتين، خلال تطور الفكر السياسي الاسلامي وما رافقه من تصاعد الذعر من الاسلام.

المقدمة

توجهت انظار العالم في مطلع القرن العشرين إلى نشاطات الجماعات الاسلامية، وما مثلته هذه النشاطات في إطار تحقيق الاستقلال عن الدول الاستعمارية، وبناء أنظمة سياسية قائمة على توجهات شعوب تلك الدول الاسلامية في الحرية والعدالة والمساواة، فتناولت الدراسات الغربية نشاطات تلك الجماعات الاسلامية، التي شكلت المقاومة الفعالة في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ما أعاد إلى أذهان أفراد تلك المجتمعات صورة مشوهة عن الدين الاسلامي التي تناقلتها الاجيال

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة تكریت.

(**) كلية العلوم السياسية، جامعة تكریت.

منذ العصور القديمة، والتي ساهمت الكنيسة الأوروبية في رسمها لحشد الجيوش في موجات الحروب الصليبية.

وبعد تطور الاحداث السياسية على الصعيد العالمي، تشكلت جماعات اسلامية مسلحة منشقة عن تنظيمات اسلامية سياسية لمواجهة الاحتلال في الدول الاسلامية، الذي امتدت آثاره لتصل إلى أراضي الدول الغربية، كما ساهمت نشاطات بعض أنظمة الدول الاسلامية في مواقفها الدولية المعادية للغرب، أو بعض الممارسات الارهابية ضد المصالح الغربية في بعض من الدول إلى تشكل الرهبة من الاسلام، فظهر ما يعرف بالاسلام فوبيا في نهاية القرن العشرين وتطورت المفاهيم التي استحدثتها المفكرون الغرب حول هذا الموضوع، وربطوا بينه وبين العداء المسيحي القديم بين الاسلام والمسيحية من جهة، وبين سلطة الكنيسة والانفتاح والنهضة الاوربية من جهة أخرى، ما قادهم إلى استنتاجات خطيرة مبنية على الفهم المحدود للشريعة الاسلامية والتصور القديم الذي نقله المستشرقون عن الاسلام.

اهمية البحث:

التمييز بين الدين الاسلامي والمسلمين من جهة، وبين الاسلام السياسي من جهة أخرى، إذ بنيت المواقف السياسية الغربية على الخلط بين مفهوم الاسلام كدين سماوي، وبين الاسلام السياسي الذي يرمي إلى تحقيق المكاسب السياسية من خلال مظاهر العنف التي تهدد البشرية، وإزالة الصورة النمطية المشوهة التي ارتبطت بذهن المجتمعات الغربية حول الاسلام، نتيجة لسعي الكنيسة الاوربية وراء تحقيق مصالحها في العصور القديمة، والتعمق في دراسة الاسلام فوبيا، وانتشاره في المجتمعات الغربية، والأسباب التي أدت إلى انتشاره، والتي قامت بالدرجة الأولى على المصالح الغربية الضيقة بدءً بعصر الحروب الصليبية ومواقف الكنيسة.

اشكالية البحث:

تتمحور اشكالية البحث حول نظرة الغرب للإسلام بغض النظر عن معرفة الاسلام كدين سماوي من جهة، قائم على نصوص الشريعة الاسلامية والسنة النبوية، وعن الاسلام

السياسي الذي تتبعه الاحزاب والتيارات الاسلامية التي تحكم باسم الاسلام من جهة اخرى.

فرضية البحث:

يقوم البحث على افتراض هو ماذا يريد الغرب من الاسلام فوبيا، وما هي الأساليب الكفيلة التي تدفع الغرب للغرب للخلط بين الاسلام كدين سماوي، وبين الاسلام السياسي.

منهجية البحث:

استخدم في البحث المنهج التاريخي في دراسة الاحداث التاريخية من خلال تحليل معطيات تلك الحوادث المرتبطة بالجزور والمرتكرات الفكرية للإسلام السياسي والتي أسهمت في تشكيل الصورة النمطية حول الاسلام، وكما اعتمدت المنهج ذاته في تطور الاسلام فوبيا في ضوء العلاقة اللصيقة بالإسلام السياسي.

هيكلية البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، تناول المطلب الاول تعريف الاسلام فوبيا لغة واصطلاحاً، في حين تناول المطلب الثاني الجزور الفكرية للإسلام فوبيا، اما المطلب الثالث فلقد تناول أثر الصورة النمطية الغربية للإسلام في تعميق فكرة الاسلام فوبيا.

الاسلام فوبيا في الفكر السياسي الغربي

تعرض الاسلام إلى نوع من التشويه لصورته كديانة، وللمسلمين كمجتمع إنساني، فقد استغل السياسيون والإعلاميون الغربيون القيم والمعتقدات الاسلامية الناجمة عن الأخطاء السياسية، ومظاهر العنف المفرطة في تشويه الصورة النقية للإسلام، ورسم صورة نمطية مخالفة لما هي عليه في الأصل، والترويج لفكرة الاسلام فوبيا وتعميق آثارها في المجتمعات الغربية.

وفي هذا البحث سنتطرق الى مفهوم الاسلام فوبيا لغة واصطلاحاً، وإلى الجزور الفكرية للإسلام فوبيا، كما سنتناول الصور النمطية التي أسهمت في تشويه صورة الاسلام من خلال المطالب الآتية:

المطلب الاول: تعريف الاسلام فوبيا لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: الجذور الفكرية للإسلام فوبيا

المطلب الثالث: أثر الصورة النمطية الغربية للإسلام في تعميق فكرة الاسلام فوبيا

المطلب الاول: تعريف الاسلام فوبيا لغة واصطلاحاً

نسعى في هذا المطلب لبيان معنى الاسلام فوبيا لغة واصطلاحاً، من خلال تفكيك المفردة المركبة وردها إلى أصلها، بالاعتماد على ما توفر لدينا من معاجم اللغات والمصادر السياسية. لذا سنقتصر في هذا المطلب على تعريف الفوبيا لغة واصطلاحاً ومجمل تعاريفها كل في محله.

أولاً: الاسلام فوبيا لغة:

الإسلام فوبيا كلمة مستحدثة تتكون من كلمتي إسلام وفوبيا، وسنتناول في هذا الفرع معنى كلمة "فوبيا" وأصلها في اللغة.

(فوبيا Phobia)، كلمة لاتينية تعني الرهاب أو الهلع أو الخوف من شيء ما أو مجموعة ما^(١)، وهو خوف لا شعوري غير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة، وهو بذلك يصنف كمرض نفسي ينبغي علاجه^(٢).

فالإسلام فوبيا كلمة منحوتة من كلمة (اسلام) عربية الاصل، ولا حقة (فوبيا) اللاتينية (أصلها: فوبوس) التي تعني الرهاب أو الخوف، فعند إضافة كلمة الاسلام يأتي المصطلح في إطار الرهاب والخوف من الاسلام، وهي مفردة مركبة حديثة^(٣).
ثانياً: الاسلام فوبيا اصطلاحاً:

(١) Oxford English Dictionary, Official site, link:

<https://en.oxforddictionaries.com/definition/-phobia> accessed 1/3/2017.

(٢) روجي البعلبكي، قاموس المورد، ط٧، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٥)، ص٨٣٦.

(٣) عبد الرحمن السليمان وعبد الرحمن بودرع وعبد العزيز بن علي الحربي، "ما معنى "إسلاموفوبيا"؟"، (مجمع اللغة

العربية على الشبكة العالمية، الفتوى اللغوية رقم: ٤٥٤)، في: [http://www.m-a-](http://www.m-a-arabia.com/site/13116.html)

arabia.com/site/13116.html ، تاريخ الزيارة: ٢٧/٢/٢٠١٧.

تناول العديد من الباحثين على اختلاف انتمائهم السياسي والديني والعربي، تعريف مصطلح الاسلام فوبيا، ولتناول الموضوع بشكل واضح لابد من مناقشة آراء كل فئة على حدة، وكما يلي:

١ - من وجهة نظر المسلمين:

عرف المسلمون الاسلام فوبيا على أنها: (عزل وتمييز ومضايقة وعنف متجذر ضد المسلمين وأتباعهم)^(١).

وهو يشير الى التمييز العنصري ضد المسلمين في الدول التي يشكل فيها المسلمون أقليات سكانية، بسبب اعتناقهم الى الاسلام وتطبيق أركانه وشريعته، وهو أمر واضح للعيان حتى في أغلب الدول المتقدمة في العالم، وإن تفاوتت النسبة بين دولة وأخرى.

وعرفه فائز اللهبي بأنه: (رفض الاسلام كديانة، وكطريقة حياة، وكمشروع تعتمد عليه مجموعة أو طائفة من السكان، وكمشروع ثقافي أيضاً، كما نُظِر إليه على أنه خوف يمنع التواصل، والتبادل، والحوار، والذي يجعل من المسلم الشخص المسؤول عن كل عيوب المجتمع والعالم، وأن الاسلام مناقض للعقل، وأنه يصطدم مع الاسهامات العلمية التي يقدمها العلم التجريبي بالذات)^(٢).

ويضع هذا التعريف مبدأ رفض المجتمع الغربي للإسلام جملة وتفصيلاً، كدين لفئة من السكان أو منهجية حياتهم العامة، فضلاً عن أي توجه فكري أو سياسي لهذه المجموعات، أو حتى نشاطاتهم الثقافية المرتبطة بالعبادة الاسلامية أو عاداتهم الاجتماعية، باعتبار المسلم انسان لا يتقبل الحوار والتواصل فيصبح معزولاً ومثيراً للريبة والخوف، وينظر إلى الاسلام على أنه دين مناقض للعقل كالأديان الأخرى، وعدم تقبله للإسهامات العلمية في مختلف نواحي الحياة.

(١) Abdus Sattar "Islam and Muslims in the Post-9/11", (Modesto CA: Eagle Enterprises و 2008), p.18.

(٢) فائز صالح محمود اللهبي، إشكالية الخوف من الاسلام (Islamophobia) بين الرؤية والواقع الاسلامي، ط١، (حلب: دار النهج للدراسات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ص٧.

ويعرف هذا المصطلح أيضاً بأنه (ظاهرة تعرف الإسلام على أنه دين إرهابي دموي، يسعى للقتل وسفك الدماء)^(١).

وهي الصورة التي تحاول المجاميع الغربية رسمها للدين الاسلامي الحنيف، وإظهار عيوب فيه، من خلال بعض الاحكام الشرعية التي تنفذها بعض الدول الاسلامية، أو بعض الأمور العقائدية التي تميز بها المسلمون، وعرض السلبيات المزعومة على أنها نشاطات معادية للإنسان والأديان الأخرى.

ويعرفها غنيم بأنها: (ظاهرة قديمة جديدة، قديمة قدم الدين الاسلامي نفسه، وان كانت قد تصاعدت حدتها في عالم اليوم، وبخاصة في دول الغرب بعد التفجيرات الأخيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١)^(٢).

وهذا التعريف يأتي ضمن إطار شامل للتاريخ، حيث يعد البعض أن ظاهرة الخوف من الاسلام (Islam phobia) ظاهرة قديمة جداً تعود الى ظهور الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وتفاقمت هذه الظاهرة لدى الغرب بعد الفتوحات العربية في معركة اليرموك^(٣) وحتى فتح الاندلس، وما تلاها من فتح القسطنطينية وأجزاء واسعة من جنوب شرق أوروبا في عهد العثمانيين، واشتد أثر هذه الظاهرة بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ في نيويورك التي أعادت الظاهرة الى طاولة الحوار السياسي في العديد من المناسبات بعدها.

(١) عبد الله بن ادريس ابو بكر ميغا، "التقاتل بين المسلمين باسم الجهاد"، ورقة علمية في مؤتمر مجلس الفقه الاسلامي، الدورة الحادية والعشرون، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢١٧.

(٢) رائد احمد غنيم، "الخوف الغربي من الاسلام أسبابه ووسائله وآثاره"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الاسلامية، غزة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٣.

(٣) معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م): وهي المعركة التي وقعت بين المسلمين والروم (الإمبراطورية البيزنطية)، ويعتبرها بعض المؤرخين من أهم المعارك في تاريخ العالم لأنها كانت بداية أول موجة انتصارات للمسلمين خارج جزيرة العرب، وأذنت لتقدم الإسلام السريع في بلاد الشام. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٤٠٢-٤٠٤.

٢- من وجهة نظر الغرب:

وينقسم الغرب في تعريف فكرة الاسلام فوريا بين متعاطف مع المسلمين باعتبارهم من مكونات الشعوب التي ينتمون إليها، والحفاظ على حقوق الأقليات الدينية، وبين معارض للوجود الاسلامي باعتباره تهديداً للحضارة الغربية أو المسيحية، ويمكن أن نوضح ذلك فيما يلي:

أ- المتعاطفون مع المسلمين:

لقد عرف صمويل هنتجتون الاسلام فوريا في كتابه صدام الحضارات بأنه: (مصطلح ينضوي تحته جملة من المخاوف، تبدأ بالفرد المسلم ولا تنتهي بالدولة المسلمة، إذ تكمن في المسافة الفاصلة بين الفرد والدولة جملة من العقائد والتشريعات الاسلامية التي يخشاها الغرب)^(١). وتلك المخاوف لم تكن وليدة اللحظة الراهنة التي تشكلت في النصف الثاني من القرن العشرين، بل هي متجذرة في تاريخ الغرب، وترافقت مع ظهور العقائد والتشريعات الاسلامية، وعلى ذلك أخذ الاسلام فوريا يعبر عن قيمة مفاهيمية دفاعية، فهو ليس معنى استهلاكياً بل إنتاجياً أيضاً، اذا لا يقف عند الخوف من الاسلام وعقائده وتشريعاته، بل يتعداه إلى تصوير المسلم أياً كان توجهه بأنه شخص ذو ميول عدائية.

ومن خلال تعريف ستيفن شيهي؛ نضج مفهوم الاسلام فوريا ليعبر عن كُلية معرفية بالآخر غير الغربي فهو: (تشكيل أيديولوجي جديد تم التعبير عنه باكتمال انهيار الاتحاد السوفيتي، ولا ترجع أصوله إلى الادارة الامريكية بعينها، ولا لأحد المفكرين أو الفلاسفة، أو النشطاء، أو أي منفذ اسلامي أو مجموعة مصالح خاصة، أو مركز أبحاث، لكونهم كلهم مسؤولون بأسلوب جمعي عن نشر النمطيات الخبيثة المعادية للمسلمين لتطبيع هيمنة الولايات المتحدة على الكوكب)^(٢).

(١) صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، (القاهرة: شركة سطور للنشر، ١٩٩٩)، ص ٣٥٢.

(٢) ستيفن شيهي، الاسلام فوريا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين، ترجمة: فاطمة نصر، ط١، (القاهرة: اصدارات سطور الجديدة.. ٢٠١٢)، ص ٤١.

وبهذا التعريف نجد أن الفكرة تأججت في عصرنا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانقسامه إلى عدة دول مستقلة، ويشير ضمناً إلى دور الإدارة الأمريكية في جلب تداعيات الظاهرة إلى مسرح الأحداث الدولية فضلاً عن جهات أخرى كان لها دور في نشر هذا الاعتقاد.

ب- المنظرون للفكرة:

يعرف بعض المنظرين الغربيين فكرة الإسلام فوريا بأنها: (شعور بالوطنية نتيجة تعلق الشعوب الأوروبية بثقافتها، فهي حق مشروع، الخوف من تصاعد الصحوة الإسلامية واتجاه المسلمين نحو الاعتماد على الإسلام كمنهج حياة، وهي نتيجة الخوف من رفض المسلمين لقيم وثقافة الغرب التي تسعى الولايات المتحدة وحلفاؤها عولمتها على باقي شعوب العالم)^(١).

وهو تعريف دقيق للفكرة يستند على الواقع الذي تحاول الإدارة الأمريكية فرضه على المسلمين في أمريكا نفسها وفي الدول الأخرى، ما جعله مبرراً لخوض الحروب والصراعات السياسية مع دول مسلمة.

ومثل هذا المبرر كان يُصدّره المسيو كيمون في السابق^(٢) بقوله: (إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس، واخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي، يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما إلا سفك الدماء)^(٣)، ويتجلى في هذا الرأي حجم الاختزال للإسلام كدين سماوي، وللعقائد والمعتقدات الإسلامية، وخلطها بالإسلام السياسي وما يشوبه من التطبيق الخاطئ أو الأفكار الدخيلة.

(١) مشري مرسى، "جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات"، جامعة حسنية بن بوعلي بالشلف/ كلية العلوم القانونية والإدارية/ قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١٥.

(٢) المسيو (كيمون): مستشرق فرنسي، عاش في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهو صاحب كتاب (ميثولوجيا الإسلام)، وهو من النصارى المتشددین ضد الإسلام. عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ط١، (دمشق/بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ص ٢٠.

(٣) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ط٥، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ١٤.

وترى وكالة رونيميد تروست^(١) في تقريرها سنة ١٩٩٦ أن (الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير، وهو مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى، ولا يتأثر بها، ولكنه يؤثر فيها، وهو أدنى من الغرب، وحشي، وغير عقلاني، بدائي ومتحيز ضد النساء، ويتسم بالعنف والعدوانية، تهديدي، يدعم الإرهاب وفعال في حرب الثقافات، وهو الأيديولوجية السياسية، التي تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية)^(٢).

وفي هذا التعريف نجد مبررات الخوف من الاسلام واضحة جدا، وهي أن الاسلام دين ينفرد بالشمولية التي لا تتغير بمصادرها الاساسية في التشريع، ولا يشترك مع الثقافات الاخرى في نزاعاتها التحريرية من أديانها، لأن الدين الاسلامي هو الأساس، أما أن الاسلام أدنى حضارياً من الغرب، فهو يشير إلى المسلمين في البلدان النامية التي تعاني تخلفاً حضارياً بسبب الاستعمار أو الصراعات السياسية، ويظهر الدور الذي قامت به الجماعات المتطرفة من مواجهات مسلحة ونشاطات فكرية متشددة، واستغلالها لتحقيق أهداف سياسية تهدف الى السيطرة على منطقة أو دولة ما.

ويرى الباحث أن فكرة الاسلام فوبيا هي: فكرة أشاعها الغرب في محاولة خلق اصطفايات قائمة على الفصل الحدي بين المكونات المجتمعية الغربية، تستند في الاساس على الخوف من تهديد الآخر المتمثل في المسلمين في الغرب، ما ولد حالة الكراهية للمسلمين وانتقاد سلوكهم الديني والاجتماعي، معتمدين على مظاهر

(١) وكالة رونيميد تروست Runnymede Trust research agency: وكالة بحثية بريطانية، تعنى بظاهرة الاسلام فوبيا والمسلمون البريطانيون، وقد أصدرت تقريرها سنة ١٩٩٦ الذي بينت فيه وجهات نظر معادية للاسلام. ينظر:

Gordon Conway et al. Islamophobia.. a challenge for us all The Runnymede Trust summary, (London: The Runnymede Trust Publication, 1996), p.3.

(٢) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية (بين افتراء الجهلاء.. وإنصاف العلماء)، (القاهرة: دار الشروق، د.ت)، ص ٦٢-٦٣.

العنف التي حصلت في بلادهم أو خارجها، وتحميل المسلمين مسؤولية تلك الاحداث باعتبار الاسلام دين وحشي عنيف.

المطلب الثاني: الجذور الفكرية للإسلام فويا

يعود الاسلام فويا في المجتمع الغربي الى جذور فكرية عديدة تراكمت منذ ظهور الاسلام على مر العصور، فيعود بعضها إلى بداية انتشار الاسلام في الأراضي البعيدة عن الجزيرة العربية والمتاخمة لممالك الروم، مروراً بعهد الدولة العثمانية وحملاتها على غرب أوروبا، والعصر الحديث وما شهدته من مقاومة للاستعمار والتبشير، التي جذبت أوروبا إلى دراسة الاسلام، وانتهت بالتعصب العرقي والديني ضد كل ما هو غريب عن المجتمع الغربي في عصرنا هذا.

انطلقت الفتوحات الاسلامية من الجزيرة العربية نحو البلاد المجاورة لها، وتوسعت رقعة الدولة الاسلامية لتصل تخوم الدول الرومية في الشام ومصر وافريقيا، فكانت أول مواجهة بين المسلمين والروم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة سنة (٧هـ)، وفيه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بأمره زيد بن حارثة رضي الله عنه، الذي انكسر في مواجهة الروم أول الأمر وعاد به خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد استشهاد أمراء ذلك الجيش إلى المدينة^(١)، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، التي تشتت فيها جيوش الروم، ورأى أهل تلك المناطق أن تحالفهم مع المسلمين من عرب الجزيرة أولى من تحالفهم مع الروم، فتحقق للمسلمين غايتهم في ضم تلك الأراضي إلى دولة الاسلام، ما جعل الروم ينظرون نظرة أخرى إلى المسلمين بعد أن كانوا يظنون أنهم بدو لا قدرة لهم على القتال ولا علم لهم بأمور الحرب وتنظيم الجيش، فلم تتقدم الروم من حمص بعد أن علمت صفة النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ): السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٣٧٧-٣٨٠.

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج٣، ص١٠٩.

واستمرت الفتوحات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أرسل جيوش الاسلام لفتح الشام، التي فتحت أراضي الشام بعد معركة اليرموك سنة ١٣هـ، تلك المعركة التي شهد فيها الروم انكساراً كبيراً أمام جحافل المسلمين^(١)، وتلا معركة اليرموك فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما كان فيه من مشاهد ومعارك كبيرة مع حاميات الروم، وقد كانت الغلبة للقلة من المسلمين مع عمرو بن العاص على الروم^(٢).

شكلت ضراوة الحرب العثمانية - الاوربية صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين لدى الغرب وما تخللها من مظاهر العنف المفرط وعمليات القتل الجماعية، إذ تطور تمثيلهم للعدو القديم الى تمثيل عدو جديد يطرق أبوابهم في دولهم، وبخاصة أولئك المسيحيون الذين هاجروا من القسطنطينية إلى أوروبا بعد أن فتحها العثمانيون عام (١٤٥٣)، فكرست الدول الاوربية قدرتها لصد ذلك التوسع واستعادة الاراضي التي سيطر العثمانيون عليها^(٣). وقد شكل ذلك الحدث أهم أسباب التحول في الاتجاهات السياسية لدى الغرب بعد أن شن العثمانيون حملاتهم على الأراضي الاوربية والذي يهدد المسيحية من وجهة نظرهم.

أما في العصر الحديث فقد شهدت أوروبا اهتماماً بدراسة كل ما هو غريب في بلاد الشرق، بعد ما وثقته الرحلات الاستكشافية في مطلع عصر النهضة وحتى بداية القرن التاسع عشر، إذ توجه الاوربيون الى دراسة الاسلام والمسلمين والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، والتعرف على حضارتهم ومنجزاتهم، التي وصلت إليها المجتمعات الاسلامية بالرغم من حالة الفقر التي سادت تلك المجتمعات، ما زاد من اهتمام بعض

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ): تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، ط ٢، (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ)، ج ٣، ص ٤٠٨-٤١٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: ٢٥٧هـ): فتوح مصر والمغرب، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ)، ص ٧٩-٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤.

الاوربيين بها والتعمق في دراستها، وأدى ذلك الاهتمام إلى ظهور شريحة اوروبية مناصرة للإسلام والمسلمين^(١)، إلا أن بقية منهم رأّت بأن المسلمين أقوام همجية لا تقبل التطور الذي شهدته أوروبا، إذ كان الشرق متأخراً عن أوروبا في مجالات عديدة، ما جعل الاوربيين يرون المسلمين منقادين إلى الشريعة الاسلامية، ورأوا في الاسلام ذلك التسلط في الكنيسة الاوروبية الجامدة البعيدة عن مواكبة التطور، التي رفضوها وعادوا إلى الأصول الأدبية لدى الاغريق والرومان^(٢)، وهو ما ركزت عليه آراؤهم وكتاباتهم عن الاسلام والمسلمين.

لقد ظهرت في كتابات المستشرقين آثار تصور جمود الاسلام، وعدم تقبله للتجديد، وبعده عن مواكبة التطور، فضلا عن مظاهره العنيفة، ما ولد نوعاً من الذعر من الاسلام في بلاد الغرب بل والبلاد الاخرى في أنحاء العالم^(٣)، الأمر الذي عمّق مشاعر الخوف من الاسلام في المجتمعات الغربية.

في بداية القرن العشرين، وبعد فشل أغلب الحملات التبشيرية في البلاد الاسلامية، توجه المبشرون والمستشرقون إلى تشكيل صورة جامدة للإسلام التي يتعدها به عن التغيير والحدثة الاوروبية، فشكّلت رأياً لدى المجتمع الغربي بأن الاسلام خطر كبير يؤثر في الحضارات الغربية ولا يتأثر بها، ويتصف بالعنف والهمجية وعدم تقبل رأي الاخر، فوجد العديد من هؤلاء المستشرقين يعرض آراؤه حول الاسلام في كتاباته أو في مؤتمرات عامة يشارك فيها، فوجد أوضاع المسلمين شجعت المبشرين المسيحيين، فأعادوا سبب نجاحات الأمم الأوروبية إلى الدين المسيحي، وقالوا أن إخفاق العالم

(١) معتز الخطيب، "ظاهرة كراهية الاسلام الجذور والحلول" مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد: ٥، العدد:

١٧، (قطر: ١٤٢٩ / ٢٠٠٨) ص ٤٢.

(٢) شهدت إحياء التقدير الفكري والفني للثقافة اليونانية-الرومانية، والذي أدى إلى ظهور المؤسسات الفردية والاجتماعية والثقافية الحديثة التي تحدد هوية الكثيرين في العالم الغربي، ما أدى الى معارضة الكنيسة واعتبرتهم من المهترئين. جري بورتون، عصر النهضة مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ابراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة

نجيب مغربي، ط١، (القاهرة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م)، ص ١٤.

(٣) محمد قطب، المستشرقون والاسلام، ط١، (القاهرة: مطبعة وهبة، ١٩٩٩)، ص ٣٨.

الإسلامي يعود إلى الإسلام. فصوروا المسيحية على أنها دين ملائم للتقدم، وقرنوا الدين الإسلامي بالركود الثقافي والتخلف، فأصبحت الهجمة على الإسلام واسعة النطاق، بعد أن وظفوا حجج العصور الوسطى وما أضيف إليها من زخارف عصرية وصوروا المسلمين بأنهم جماعات قائمة على حقدّها البربري على الحضارة^(١).

ومن أولئك المستشرقين كريستيان سنوك هورغنيه (١٨٥٧-١٩٣٦م)^(٢)، الذي زار مكة متنكراً في شخصية طبيب سنة ١٨٨٦، للوقوف على أحوال مكة وأقام فيها ستة أشهر، خرج من خلالها بآرائه المعادية للإسلام^(٣)، إذ يقول: (يجب على الحكومات الأوروبية التي استولت على بلاد الإسلام أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية العصرية، وإقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان! فلا بد من رفع أحدهما. ولما كانت المدنية الحاضرة هي نظام كل شيء ولا محيد عنها لمن يريد أن يعيش، كان البديهي أن الذي سيرتفع من النقيضين هو الإسلام)^(٤)، وهي وجهة نظر تنم عن عدم تقبل الاسلام كديانة سماوية نقية، وتنم عن عدم التمييز بين الاسلام كدين وبين المسلمين البعيدين عن الشريعة الإسلامية، وفي قوله تصريح بدفع الشباب المسلم إلى التخلي عن مبادئ الاسلام والتحول إلى المدنية الأوروبية، ويضمّر في رأيه كراهية واضحة المعالم للإسلام والمسلمين معاً، ولا يفرق بينهما.

ويتضح العداء للإسلام وهدف النيل منه في آراء المستشرقين والمبشرين الذين تخصصوا لتنفيذ المخططات الغربية خلال حملات التبشير، ونجد ذلك جلياً في

(١) معتز الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

(٢) كريستيان سنوك هورغنيه: ولد في استرهور سنة ١٨٥٧م، ودرس في ليدن على دي غويه، ثم نولده، واستقر في جاوة مدة ١٧ سنة، كان رائداً في دراسات الفقه الاسلامي والحديث والتفسير، وزار مكة باسم الطبيب عبد الغفار، وله العديد من المؤلفات، توفي سنة ١٩٣٦م. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط ٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣)، ص ٣٥٣-٣٥٥.

(٣) إقبال بن عبد الرحمن إبداع، الوحي القرآني بين المفسرين و المستشرقين: دراسة تحليلية مقارنة، ط ١، (عمان: دار دجلة، ٢٠١١)، ص ١٨٩.

(٤) نقلاً عن: أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ضمن موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٨٣)، ص ١٣٧.

رأي المستشرق والمبشر الفرنسي لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م)^(١) عن دور الحملات التبشيرية وآرائهم المسمومة التي بثوها في المجتمعات الإسلامية، لتزيين الفكر المسيحي لتلك المجتمعات مع الانتقاص من الاسلام والثقافة والعلوم الاسلامية^(٢)، إذ يقول : (لم نبحث في الشرق إلا عن منافعنا، ولقد دمرنا كل ما هو خاص بهم، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وآدابهم. والشرقيون ليسوا من السذاجة حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا، وقد تحققوا بالشواهد أننا نعمل على أن نستبيحهم ضعفاء)^(٣)، فلم تقتصر جهود المستشرقين على تقصي أوضاع المجتمعات الاسلامية، بل تعدى ذلك إلى محاولة لدس الفكر المريض إلى أبناء تلك المجتمعات، ما أفاض في النهاية عن إشكاليات عقائدية بينهم، وإيقاظ الفتنة وإيقاد شرارة القتال بين الأطراف المختلفة في الرأي، وعرض تلك المنازعات في آرائهم وكتبهم ومصنفاتهم أمام المجتمعات الغربية.

المطلب الثالث: أثر الصورة النمطية الغربية للإسلام في تعميق فكرة الاسلام فوبيا

في ضوء ما ذكرناه من تنميط صورة الاسلام لدى المجتمعات الغربية، ترتب على هذا التوجه العديد من الآثار على المجتمعات الغربية والجاليات المسلمة فيها من جهة، وعلى المجتمعات الاسلامية من جهة أخرى، وإن كان التنميط يصب في المصالح السياسية الغربية، إلا أنه ولد في المجتمع الغربي آثاراً سلبية على مكوناته، وهو ما سنتطرق إليه بشيء من التفصيل في هذا المطلب.

(١) لويس ماسينيون: ولد في نوجان بباريس سنة ١٨٨٣ م، ودرس على جولدزبره، كان مولعاً بالدراسات الشرقية لاسيما المغرب الاسلامي، وزار البلاد العربية، ودرس في الجامعة المصرية والجامعات المغربية، وبلغت اثار ٦٥٠ مصنف أو محقق أو مترجم أو مقال، توفي سنة ١٩٦٢م. ينظر : عبد الرحمن بدوي، مصدر سبق ذكره، ٥٢٩-٥٣٥.

(٢) جواد كاظم النصر الله و شهيد كريم الكعبي، "الاستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية - لقاء الاستشراق والتبشير"،

مجلة دراسات إستشراقية، العدد: ٤، السنة الثانية، (النصف: ربيع ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ١٤٤-١١٥.

(٣) نقلاً عن: أنور الجندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥.

إن أولى آثار تنميط صورة الاسلام المشوهة لدى الغرب دفع عوام الناس البعيدة عن مفاهيم الاسلام والجاهلة برموزه وشريعته، الى اتخاذ مواقف سلبية من الاسلام والمسلمين، سواء أكانوا في بلاد الاسلام أم في البلدان الغربية، فتولدت لدى المتلقي الغربي صورة سلبية مشوهة عن الاسلام تدفعه إلى التقليل من شأن المسلمين اللذين يتصورهم المجتمع الغربي بأنهم أناس بدائيون عدوانيون، يجمعون الأموال ويبددونها على ترفهم وشهواتهم، مما يدفع المجتمع الغربي إلى تحاشي التعامل مع المسلمين وفق هذه النظرة^(١).

ومن جانب آخر وبعد ظهور حركات الاسلام السياسي والجماعات الاسلامية، كقوى مناهضة للمشروع الديمقراطي الغربي الرأسمالي، وتمحور الصراع على الثقافات والأديان^(٢)، اتجه المفكرون في الغرب إلى إظهار الاسلام بصورة الخطر الذي يهدد المدنية التي تنادي بها المجتمعات الغربية^(٣). لذلك عُد الاسلام نظاماً جامداً يروج للعنف ولا قدرة له على تقبل الآخر، ما دفع المجتمع الغربي لرفض التيارات الاسلامية في الغرب أو في البلدان الاسلامية^(٤).

وأمام تلك المؤثرات على المتلقي الغربي، بات من الصعب عليه التمييز بين الإسلام كرسالة إلهية سماوية، وبين مظاهر العنف المتطرف التي يشهدها العالم، نتيجة لارتباط تلك المظاهر بالإسلام، الأمر الذي رسخ في ذهن المتلقي الغربي أن الإسلام يحث على العنف والقتل وغيرها من الأعمال الإرهابية، التي تهدد المجتمعات المدنية،

(١) المحجوب بن سعيد، الاسلام والاعلاموفوبيا - الاعلام الغربي والاسلام: تشويه وتخويف، (دمشق: دار الفكر، ٢٠١٠)، ص ٩٥.

(٢) ايمن طلال يوسف، تنميط الاسلام في التصورات الغربية بين الاصولية والقويبا، (جنين: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد: ١٨، ٢٠٠٨)، ص ١١٨.

(٣) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين احمد امين، (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣)، ص ٧١.

(٤) المحجوب بن سعيد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥-٩٦.

إذ لا يزال الغرب بعيداً عن التمييز بين المسلم المعتدل، والارهابي المتطرف أياً كان دينه ومذهبه، وتعميم الارهاب على الاسلام والمسلمين^(١).

وفي ظل غياب المعرفة بالإسلام والجهل بشريعته، وسيادة الصورة البربرية وانتشار الرعب منه، فضلاً عن المصالح السياسية والاقتصادية للغرب، شاعت في العقود الأخيرة ظاهرة الإساءة إلى رموز الإسلام وشريعته، التي ظهرت بشكل صور مسيئة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الصحف الاوربية، والتي بدأت أول أمرها في الدنمارك وانتشرت منها الى بقية بلدان أوروبا وأمريكا، ما أثار المسلمين في أوروبا والعالم اجمع، وأدى ذلك الى حدوث أزمة عالمية بين الدول الاسلامية ودول الغرب، وعوضاً عن تفادي اسباب هذه الازمة الخطيرة بررت حكومة الدنمارك وغيرها من الدول الاوربية أن ما نشر في تلك الصحف يعبر عن حرية الصحافة في بلدانهم، وأن منع تلك الصحف يتعارض مع مبادئ الديمقراطية الغربية، متجاهلين قدسية شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى المسلمين عامة وفئة المسلمين في مجتمعاتهم^(٢).

لم تكن تلك الأزمة الأولى من نوعها، فقد كانت هناك العديد من الأزمات المشابهة لها في الانتقاص من القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، فقد شهدت فرنسا منع الطالبات اللاتي يرتدين الحجاب من دخول المدارس، كما تضمن قبلها كتاب الأديب البريطاني والهندي الأصل سلمان رشدي (آيات شيطانية) إساءة إلى قدسية القرآن الكريم عند المسلمين، لكن تلك الأزمات لم تكن بمستوى أزمة المساس بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها تمس ما هو أكثر قداسة لدى عموم المسلمين، وساعد على اتساع نطاق الأزمة تطور تقنيات الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي التي تناولت هذه الحادثة، ما أدى إلى وقوع حوادث أودت بالأرواح

(١) معنز الخطيب، الإسلام و"الإرهاب" في الفكر الغربي - النماذج التفسيرية.. وخلفياتها، (الإسكندرية: مكتبة

الإسكندرية - وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١٢)، ص ٤١.

(٢) ابو الحسن حميد المقدس الغريفي، جذور الإساءة للإسلام وللرسول الاعظم "صلى الله عليه وسلم"، (بيروت:

مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص ٣٨٩.

والممتلكات في عدد من دول العالم إثر الاحتجاجات والمظاهرات التي اتسم بعضها بالعنف المفرط^(١).

ومن جهة أخرى تزامن مع ظهور "الإسلام فويا" في الدول الغربية، خطابٌ سياسي يميني، تميز بالتطرف الساعي إلى استثمار الأوضاع السياسية في العالم بعد هجمات ١١ سبتمبر، فضلاً عن توجه ذلك الخطاب المعادي للإسلام، ورافق ذلك الخطاب تردي الواقع الاجتماعي في الغرب في تمييزه لهوية المسلمين واندماجهم في المجتمع الغربي، تلك العوامل ساهمت بشكل فعال في تطور توجه عنصري ضد المسلمين بشكل عام، مستفيداً من جهل غالبية المجتمع بالإسلام، فضلاً عن الخطاب المحرض لبعض وسائل الإعلام^(٢).

ولم يتوقف الأمر عند حدود الإساءة عبر الإعلام، إنما سعت الأحزاب اليمينية المتشددة إلى مواكبة هذا الواقع في تكريس الخوف من الإسلام وتوظيفه في الانتخابات، ورفعت شعارات عديدة منها "أسلمة أوروبا" و"التهديد الإسلامي الخفي"، وغيرها، التي أتاحت الفرصة أمام تلك الأحزاب المتطرفة لتدعيم خطابها السياسي والاقتصادي الضعيف بالتطرف الاجتماعي على أساس الرعب من الإسلام، فكان من آثار هذا الخطاب زيادة العداء ضد المسلمين والعرب^(٣)، الذي تخلله حرق مساجد المسلمين ومقابرهم في أكثر من مناسبة، وتحول الأمر إلى ظهور مجموعات إرهابية من الشباب المسيحي المتطرف التي تقوم بالاعتداء على المسلمين في شوارع وأزقة المدن الأوروبية بشكل منظم ومنهجي^(٤).

(١) بهي الدين حسن، " التوتر بين المسلمين والغرب - فشل متبادل بين الجانبين"، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة مناورات حقوق الإنسان، عدد ١٠، (القاهرة: د.ت)، ص ٢٣-٢٦.

(٢) Farid Hafez, "Comparing Anti-Semitism and Islamophobia: The State of the Field", Islamophobia Studies Journal, Vol.; No. 2, (Spring 2016), PP. 16-34.

(٣) رايح زغوني، "الإسلام فويا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا - مقارنة سوسيوثقافية"، المستقبل العربي، العدد: ٤٢١، (بيروت: ٢٠١٤)، ص ١٢٦.

(٤) علاء الحمارنة، "المسلمون في أوروبا - خريطة التمييز"، تقرير اتحاد هلنسكي العالمي، العدد: ١، (هلنسكي: مجلة دراسات إستراتيجية، ٢٠٠٦)، ص ٩٥.

ان نظرة الغرب إلى الإسلام هي نظرة عنصرية صليبية حاقدة لا تقبل الا تدمير الحضارة الإسلامية ويتضح ذلك في قول المعلق السوفيتي فاسيليف (إن امريكا الآن تنظر إلى العالم الإسلامي بوصفه امبراطورية الشر الجديدة التي حلت محل الاتحاد السوفيتي السابق والتي تركزت كل الجهود الأمريكية خلال أكثر من اربعين عاماً للقضاء عليها)، من وجهة نظر غربية اخرى في قول البارون دي كارافو (اعتقد ان علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من اجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية .. دعونا نمزق الإسلام بل نستخدم من اجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية... وذلك لكي نضعف الإسلام، لنجعله عاجزاً إلى الابد عن صحوه كبرى^(١)).

ويقول مورو بيرجر (ان الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب لان قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره)، كذلك يحذر المفكر الالمانى بول شمتز قائلاً (سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الاول للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها اذ ما ادرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية)^(٢).

ويقول المفكر الانكليزي هيلد بيلوك (لا يساورني ادنى شك في ان الحضارة التي ترتبط اجزاؤها برباط متين وتتماسك اطرافها تماسكاً قوياً، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون ايضاً خطراً على

(١) محمد مورو، الاسلام وامريكا حوار ام مواجهة، (القاهرة: الروضة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١-٨٢.

اعدائه^(١)، يتضح مما تقدم ان الغرب يهدف الى تحطيم الإسلام والحضارة الإسلامية بحجة ان الإسلام يهدد بقية الدول الاوربية على اساس انه قائم على استخدام القوة والارهاب على عكس ما هو قائم على اساس المحبة والسلام والتسامح.

وفي نفس المضمار، روج اليمين المتطرف لفكرة جديدة ترى بأن الهجرات القادمة من شمال أفريقيا والشرق الأوسط هي سبب الأزمة المالية العالمية التي اندلعت في ٢٠٠٧، ما ولد موجة عاتية من الكراهية ضد المسلمين، الذين زاحموا الأوروبيين الأصليين في الحصول على فرص العمل. فضلاً عن إثقال الميزانية العمومية بنفقات كبيرة، وجمعهم للثروات في الغرب، وتزامن ذلك مع موجات اللجوء الجماعية القادمة من سوريا والعراق عبر تركيا عام ٢٠١٦ نتيجة العمليات الارهابية، فازدهر ذلك الخطاب اليميني المفعم بالكراهية، الذي تبين من خلال القرارات التي أصدرتها بعض دول أوروبا بإغلاق حدودها أمام أولئك المهاجرين^(٢)، في إطار نزعة دفينية وشعور قومي سبق أن جرّ على أوروبا ويلاتٍ لا تُحصى^(٣)، لقد تأججت كراهية المسلمين مرة أخرى في ظل الأزمة المالية العالمية التي ألفت بظلالها سنة ٢٠٠٧^(٤)، فعاد اليمين المتطرف الى الترويج لفكرة جديدة، تقوم على أساس أن الهجرة القادمة من شمال أفريقيا والشرق الأوسط هي أهم سبب لتلك الأزمة الاقتصادية الخانقة، معتبرين أولئك المهاجرين عبئاً إضافياً على كاهل الدول الاوربية، وهم من هذا المنطلق يُزاحمون

(١) المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

(٢) رايح زغوني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

(٣) جرت النزعة القومية الكثير من ويلات الحروب في النصف الأول من القرن العشرين، فقد دفعت النازية والفاشية أوروبا إلى حرب دمرتها، وهي نظم قائمة على الهوية القومية. ينظر: هاشم صالح، كيف دمرت الحروب المذهبية أوروبا، العدد ١٢٣٧٣، (الرياض: جريدة الشرق الاوسط، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢)، الرابط: http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=699439&issueno=12373#.WYxIN_NKGPiU، تاريخ الزيارة: ٢٠١٧/٨/٥.

(٤) التقرير السنوي للبنك الدولي لسنة ٢٠٠٩، البنك الدولي، (واشنطن، ٢٠٠٩)، ص ١٢.

أصحاب الأرض في الموارد الاقتصادية^(١)، فضلاً عن استثمار المهاجرين لمدخولاتهم في بلدانهم الأصلية مما يجنونه في بلدان المهجر^(٢).

كما أدت الصراعات السياسية والعمليات الإرهابية وسيطرة تنظيم داعش على مساحات واسعة من العراق وسوريا، إلى تدفق موجات كبيرة من اللاجئين القادمين من تلك الدول عبر تركيا مطلع العقد الحالي، فعادت مظاهر الكراهية من جديد، التي كشفت عنها قرارات عدد من الدول، والتي أغلقت حدودها مع اليونان ودول البلقان، وتساعد مراقبة الحدود في النمسا وفرنسا وسويسرا^(٣)، وتوجهات رئيس الولايات المتحدة دونالد ترامب في منع الهجرة إلى الولايات المتحدة لبعض الدول محل النزاعات في إطار الحرب على الإرهاب المبطنة بعبادة المسلمين في الغرب^(٤).

وخلاصة ما تقدم نجد أن الإعلام الغربي استغل كل الإمكانيات والوسائل التي أتاحها له التقنية الحديثة لإحياء الأفكار والصور النمطية الكنسية القديمة، وربطها بالأحداث والوقائع والأزمات الحادة التي يشهدها العالم بين المسلمين والغرب، فضلاً عن إضافة المزيد من التضليل والتمويه على تلك الصورة النمطية القديمة، لتحظى بترحيب كامل وتصديق تام عند عرضها على جماهير القراء والمشاهدين الغربيين.

(١) عبد الحميد الابراهيم، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٣٩٧، وينظر أيضاً: سمارة فيصل، "البعد الانساني في الشراكة الاور مغاربية من مسار برشلونة الى غاية مشروع الاتحاد من اجل المتوسط (١٩٩٥-٢٠٠٨)"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٣، ص ١٢١.

(٢) كريستينا برينت و طارق الحق و نورا كامل، آثار الأزمة المالية والاقتصادية على البلدان العربية: أفكار بشأن استجابة سياسات الاستخدام والحماية الاجتماعية، ط١، (بيروت: المكتب الإقليمي للدول العربية، منظمة العمل الدولية، ٢٠٠٩)، ص ١٦-١٧.

(٣) الاتحاد الأوروبي، أحداث عام ٢٠١٦، هيومان رايت و اتش، الموقع الرسمي، الرابط: <https://www.hrw.org/ar/world-report/2017/country-chapters/298825> ، تاريخ الزيارة: ٢٠١٧/٧/٩.

(٤) نانا برييه ، قرار ترامب يحظر السفر : من هم الممنوعون من دخول الولايات المتحدة؟، (لندن: بي بي سي نيوز ، ١ يوليو/ تموز ٢٠١٧)، الموقع الرسمي، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/world-40454704> ، تاريخ الزيارة: ٢٠١٧/٧/٩.

الخاتمة

لقد تناول البحث مجمل تطورات الاحداث التي شهدتها دول العالم في ضوء نشاطات الاسلام السياسي والجماعات الاسلامية، التي تباينت بين النشاطات الايجابية والنشاطات العدوانية التي أثرت بشكل كبير في تعميق فكرة الاسلام فويبا لدى المجتمع الغربي. وجاء هذا التعميق من خلال استثمار الغموض الذي يكتنف الاسلام، والخلط بين النشاطات الارهابية ومبادئ الاسلام، ما أدى إلى تنميط الصورة القاتمة المضللة للإسلام كدين سماوي، تلك الصورة السيئة التي يصب تنميطها لدى المجتمع الغربي في بودقة المصالح الغربية، من خلال الخطابات السياسية والكتابات الايديولوجية للمستشرقين والدراسات والبحوث الموجهة ووسائل الاعلام المقرورة والمسموعة والمرئية.

من ذلك خرج البحث بمجموعة من الاستنتاجات حول الدراسة وهي:

- ١- نمت مخاوف القوى المسيحية بعد ظهور الاسلام، وزحف الجيوش المسلمة نحو جنوب الدولة البيزنطية، ما ولد شعوراً بالخطر الاسلامي الذي يهدد الوجود المسيحي في بلاد الشام، وتفاقم الأمر فأصبح ذعراً كبيراً بخاصة بعد تقدم الفتح الاسلامي في عهد الخلافة الراشدة ليشمل العديد من الأمصار الراضحة تحت سيطرة الروم.
- ٢- تضاعف الذعر من الاسلام في المراحل التالية بعد فتح القسطنطينية، وما تولد عنه من هجرة العديد من سكانها المسيحيين، إثر ما شهدته تلك المرحلة من مظاهر الحرب العنيفة بين الجيوش العثمانية والجيوش الاوربية، وقد سعت الكنيسة إلى إذكاء جذوة الصراع بتلفيق الروايات حول عنف المسلمين وجمود الاسلام وعدم تقبله للآخر بالتأسيس على تلك الأحداث الطارئة في الحروب.
- ٣- ظهور المقاومة المسلحة التي عبرت عن توجهات المجتمعات الاسلامية في رفضها لسياسة الدول الاستعمارية، التي اتخذت من القتال وسيلة في صد

المستعمر، في إطار الجهاد في سبيل الله، وهو من واجبات المجتمعات الإسلامية في الدفاع عن حريتها في تقرير مصيرها وقدرية معتقداتها، إلا أن القادة الغربيين تداولوا صور المقاومة الإسلامية في منظور العنف والهمجية، الذي أضيف إلى التصور القديم الذي ورثه الغرب عن مواجهاته السابقة مع المسلمين خلال الحروب الصليبية أو فتح القسطنطينية.

٤- اندفاع التيارات السياسية نحو الهجرة إلى الدول الغربية وتكوين جماعات إسلامية فيها، بالرغم من اختلاف أسباب الهجرة، والتي كان هدفها تغيير الانظمة السياسية في الدول الإسلامية، إلا أنها لم يكن لها دور في تعزيز وجود المسلمين في تلك الدول، بل أثرت توجهات بعض التيارات والجماعات الإسلامية بشكل سلبي على الوجود الإسلامي والمسلمين في دول الغرب.

٥- ساهمت المواجهات المسلحة والعمليات الانتحارية في تعميق الفجوة بين الغرب والإسلام، بل وأثر ذلك كله على المسلمين المقيمين في الدول الغربية، نتيجة لتفاقم الإسلام فويبا، وبخاصة بعد أن استهدفت التنظيمات الإرهابية العديد من الأهداف والرموز والشخصيات المدنية في مختلف دول العالم.

٦- سعى المستشرقون إلى رسم صورة سيئة يشوبها التضليل والتدليس، لغرض تحقيق أهداف الدول الاستعمارية التي اتخذت من ذريعة نقل منجزاتها الحضارية وفكرها الحديث إلى تلك المناطق التي استهدفتها لتحقيق مشاريعها التوسعية الرامية إلى تحقيق مكاسب اقتصادية.

٧- اتجهت القوى الغربية إلى تنميط الصورة الموروثة عن نشاطات الكنيسة المسيحية والمستشرقين، فوجهت الدراسات والبحوث والاعلام الغربي لاستعراض العديد من سلبيات المجتمعات المسلمة، وإظهار ممارساتها المبنية على تقاليدها وتنسيبها إلى الإسلام كدين وليس إلى تقاليد محددة بمنطقة جغرافية محدودة.

٨- توجه الغرب متعمداً إلى الخلط بين النشاطات الارهابية للجماعات الاسلامية والعقائد والشريعة الإسلامية، ما عمق فكرة الذعر من الاسلام ونبذ المسلمين في المجتمعات الغربية.

Abstract

In the international political institutions, the term "Islamophobia" has become popular, especially after the political events, which have been plagued by a number of attacks by Islamic groups on civilian targets in different regions of the world. This study dealt with Islamophobia in Occidental political thought, Islamism has a great impact on the deepening of the idea of Islam Phobia as well as the contributions of contemporary European thought to stereotype the image of Islam according to the heritage of the Church and the Orientalist.

The study tackled the notion of Islam as a phobia. The study also tackled the intellectual roots of Islam and phobia. This idea is linked to the roots of political Islam. Theorists relied on the connection between these two ideas in the development of Islamic political thought and the accompanying escalation of Islamophobia

